مجلة المجمع العلمي

تأثير مدرسة الطب في الإسكندرية على الطب العربي

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد
باحث في تاريخ الطب العربي الإسلامي
طبيب أطفال ــ الموصل /العراق

الملخص :

إن الأطباء البيزنطيين الذين كانوا يسيطرون على الطب في القرن الخامس والسادس الميلادي كانوا تلاميذ مدرسة الإسكندرية ، أو كانوا على الأقل من أتباع أفكارها .... وقد هجر هؤلاء مواطنهم وتفرقوا في آسيا الصغرى وشمال العراق وسوريا . وكان لأكثرهم مؤلفات في الطب تترجم أكثرها إلى العربية ، وبعضها إلى السريانية .

إن مكتبة الإسكندرية كانت قائمة عند دخول العرب المسلمين مصر وقد ذكر في البحث بعض ما يشير إلى ذلك على سبيل المثال يقول ابن أبي أصيبعة ((عبد الملك بن أبجر الكناني ، كان في أول أمره مقيما في الإسكندرية ، لأنه كان المتولي في التدريس بها بعد الإسكندرانيين ... أسلم على يد عمر بن عبد العزيز . . . ولما أفضت الخلافة لعمر في صفر سنة ٩٩ هـ /٧١٧م ، نقل التدريس إلى أنطاكية وحران وتفرق في البلاد . وكان عمر بن عبد العزيز يستطب بن أبجر فاستدعاه إلى دمشق ولكن ابن أبجر أبى أن يفارق تلاميذه وكتبه ومكتبة الإسكندرية . ولكن عمر أقنعه بأن يحمل

معه من الكتب ما يشاء ، وسيسهل له وسيلة نقلها ، وأما عن التلاميذ فإنه يدعوهم مع ابن أبجر إليه)).

وأن أثر مدرسة الإسكندرية في نهضة العرب الثقافية قد بدأ أول ما بدأ في العصر الأموي . ويعتبر أعظم ما حدث في العصر الأموي من الناحية الحضارية هو ترجمة بعض الكتب اليونانية إلى اللغة العربية . . . في الكيمياء والطب بطلب من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية .

كما ترجم في خلافة مروان بن الحكم كنّاش أهرن بن أعين الإسكندراني ، فكان ذلك أول نقل للمعارف اليونانية إلى الأقطار الإسلامية ، لقد استمر تأثير مدرسة الإسكندرية على الثقافة العربية في العصر العباسي كذلك .

وقد تضمن البحث تفصيلاً عن المدارس التي برزت في بدايات العصر العباسي والتي تأثرت بمدرسة الإسكندرية مثل مدرسة أنطاكية ، مدرسة نصيبين ، مدرسة الرها ، مدرسة جند يسابور .

وختاماً نقول إن أثر مكتبة الإسكندرية في مجال الطب كان واضحا في أمرين :

الأمر الأول : انتقال مجالس التعليم الطبي من الإسكندرية إلى بغداد ، عبر قرون طويلة استقر خلالها منهج البحث الطبي عند الأطباء العرب والمسلمين على النحو الذي رسمته الإسكندرية من قبل .

الأمر الثاني : عمق الأثر السكندري في تاريخ الطب العربي الإسلامي ، من خلال تلك المؤلفات الأبقراطية وهي مؤلفات أبقراط التي لم يكن المسلمون يسمحون للطبيب بممارسته مهنته قبل دراستها ، وإلى جانبها كانت مؤلفات

جالينوس التي تعرف باسم منتخبات الإسكندرانيين وهي التي كانت تلي مجموعة أبقراط في الأهمية ....

مما لاشك فيه أن مكتبة الإسكندرية كانت من المراكز المهمة قبل فتح العرب لمصر ، وأنها أدت دورا كبيرا في تاريخ الثقافة الإنسانية باعتبارها المنتدى الثقافي للأطباء والفلاسفة اليونان بعد أثينا ، فضلا عن كونها الجسر الذي عبرت عليه العلوم الإغريقية إلى الشرق .

وعلى الرغم من أن الأخبار التاريخية الخاصة بعصر الإسلام لا تحدثنا عن مدرسة الإسكندرية في عصرها المتأخر إلاّ أن نشاطها الإيجابي يظهر في تكوين تلاميذ مشهورين في مجال الطب .

((إن الأطباء البيزنطيين الذين كانوا يسيطرون على الطب في القرن الخامس والسادس الميلادي كانوا تلاميذ مدرسة الإسكندرية ، أو كانوا في الأقل من أتباع أفكارها .... من هؤلاء الأطباء شمعون الراهب المعروف باسم طيبويه ، وطيماووس الطرسوسي ، وأهرن ابن أعين ، وفيغوريوس ، وسرجيوس الرأس عيني ، وأتيوس الآمدي ، وبولوس الأجيني ، وأبو موسى عيسى بن قسطنطين . وقد هجر هؤلاء مواطنهم وتفرقوا في آسيا الصغرى وشمال العراق وسوريا . وكان لأكثرهم مؤلفات في الطب ترجم أكثرها إلى العربية ، وبعضها إلى السريانية ، فزودتنا بالكثير مما ضاعت أصوله الأولى بفعل التعصب المذهبي الذي حارب الوثنية كما حارب أفكارها وكتبها بنفس الشدة والعقيدة ، وقد يسرت ترجمات تلك الكتب لطلاب المعرفة العرب ، من السريان والمسلمين الإطلاع على كل ما كان يعرفه اليونانيون الأقدمون والمخضرمون في الطب وعلى طريقتهم في العمل به . كما أثار اهتمام

العرب بتلك الكتب قربهم من عهود مؤلفيها البيزنطيين ، واتصالاتهم المباشرة مع البعض منهم في مدن سوريا وآسيا الصغرى والإسكندرية . وسوف نرى أن بعض أولئك الأطباء قد عاصروا محمدا (ﷺ) حتى بداية كهولته . ولابد أن كانت هذه المعاصرة أحد العوامل التي سهلت رواج تلك المؤلفات ، ثم ترجمتها فيما بعد إلى العربية . فصارت في الردح الأول من وصول الطب اليوناني إلى العرب هي الكتب الوحيدة المتداولة بين الممارسين والمتعلمين . ولأنها أصبحت عربية اللغة ، فهي من ناحية المنفعة والتطبيق تعتبر من الكتب العربية الأولى في الطب ومرجعا معتمدا لمؤلفات العرب التي وضعت فيما بعد))[1].

وقد ((أتفق كل المؤرخين – عرب وفرنجة – على أن المكتبة كانت قائمة ، بعد أن دخل العرب الإسكندرية ، إلاّ قلة زعمت أنها احترقت أو دمرت قبل ذلك . وسواء أكان عدد ما بها من الكتب لا يتعدى الخمسين ألفا – حسب رواية يحيى النحوي – أو أكثر من ذلك إلاّ أنها كانت قائمة على الرغم مما أصابها من حرائق ، وما وقع عليها من تدمير نتيجة لثورات المصريين ضد البطالمة والرومان ... وسواء أكان ما بها من معلمين لا يتعدى الثلاثة أو أكثر قليلا وجلهم من الأطباء الذين يتعاطون الفلسفة . فالمكتبة قائمة لها كتبها وأساتذتها وطلبتها)) .

---

[1] السامرائي ، الاستاذ الدكتور كمال : مختصر تاريخ الطب العربي ـ دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٨٤ ، ج١ ، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

((إننا نقول أنه قد تخرج في مدرسة الإسكندرية (موضع التعليم) كما يقول القفطي ، أو المكان الذي ينسب إليه الفلاسفة ، بعد عهد الإسكندرانيين وهؤلاء الذين نعرفهم من مراجعنا العربية ، وقد يكون ذلك نظرا لضياع المصادر اليونانية بسبب الحملات المسيحية ضد الكتب الطبيعية .

نقول تخرج في مدرسة الإسكندرية عدد من فلاسفة السريان في القرنين الخامس والسادس والسابع وكان بعضهم ممن تولى التدريس ولاسيما في ميدان الطب في الإسكندرية ، ولكن مواقعهم غير واضحة وأخبارهم لا نجدها إلاّ في المؤلفات بالأدب السرياني))[٢].

وأننا على الرغم مما يدعيه مايرهوف من أن الإسكندرية بعد القرن الرابع قد فقدت كل أهميتها إلاّ أننا نقول أن مكتبة الإسكندرية كانت قائمة عند دخول العرب المسلمين مصر ويمكن ذكر بعض ما يشير إلى ذلك على سبيل المثال :

١ ــ ((في ترجمة أحد الأطباء ، وهو سيرجيوس الرأس عيني المتوفى سنة ٥٣٨م ما يصح أن نستنتج منه كثيراً من المعلومات التاريخية عن الطب والأطباء في تلك الحقبة ، ما يصح أن نستنتج منه أن مدرسة الإسكندرية في أواخر عمرها ، كان لها تاريخ حافل في الوقت القريب من ظهور الإسلام ، وأن كتبهم ومناهج التدريس التي اتبعوها هي نفسها التي أقرتها وعملت بها

---

[٢] الحديدي ، الاستاذ الدكتور خالد : الوجه العربي لمكتبة الإسكندرية ــ رسالة دكتوراه ، جامعة أنقرة ، ١٩٨٩، طبعت سنة ١٩٩٦ ــ ص ٩١ ــ ٩٢ .

مدارس سورية ومدرسة جند يسابور فصارت بالتالي همزة الوصل بين الطب اليوناني والطب العربي))[٣].

٢ ــ يقول ابن أبي أصيبعة ((عبد الملك بن أبجر الكناني ، كان طبيبا عالما ماهراً وكان في أول أمره مقيما في الإسكندرية ، لأنه كان المتولي في التدريس بها بعد الإسكندرانيين (مؤلفي جوامع جالينوس) الذين تقدم ذكرهم ، وذلك عندما كانت البلاد في ذلك الوقت لملوك النصارى . ثم أن المسلمين لما استولوا على البلاد وملكوا الإسكندرية ، أسلم بن أبجر على يد عمر بن عبد العزيز ، وكان حينئذ أميرا قبل أن تصل إليه الخلافة وصحبه . فلما أفضت الخلافة إلى عمر ، وذلك في صفر سنة ٩٩هـ ، نقل التدريس إلى أنطاكية وحران وتفرق في البلاد . وكان عمر بن عبد العزيز يستطب بن أبجر ويعتمد عليه في صناعة الطب))[٤].

((وكان ابن أبجر صديقا حميما لعمر بن عبد العزيز ... فلما آلت إليه الخلافة لم ينس صديقه ، وطبيبه الخاص . ولاسيما أن صحته ابتدأت تتدهور ، فاستدعاه إلى دمشق ولكن ابن أبجر أبى أن يفارق تلاميذه وكتبه ومكتبة الإسكندرية التي كان يتولى التدريس بها مكان أبيه .

ولكن عمر أصر على أن يحضر إليه ، فأما المكتبة فلقد أقنعه عمر بن عبد العزيز أن بأنطاكية مدرسة ومكتبة تضارع مكتبة الإسكندرية إن لم تفقها . وأما عن الكتب – فعلاوة على ما يوجد في أنطاكية – فلقد أقنعه عمر

---

[٣] السامرائي (مصدر سابق) ص ٢٠٦ .

[٤] ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابي العباس احمد : عيون الانباء في طبقات الاطباء ــ إصدار دار الفكر ــ بيروت ١٩٥٦ج٢ ، ص ٢٤ .

بأن يحمل معه من الكتب ما يشاء ، وسيسهل له وسيلة نقلها ، وأما عن التلاميذ ــ وكانوا أقل من القليل – فإن عمر يدعوهم مع ابن أبجر إليه .
وأقنع ابن أبجر ، وسار إلى أنطاكية بكتبه وتلميذين اثنين ولسنا ندري أهم كل ما بقي بالمدرسة أو أنهما وحدهما اللذين قبلا السفر معه))[٥].

وأن أثر مدرسة الإسكندرية في نهضة العرب الثقافية قد بدأ أول ما بدأ في العصر الأموي .

((ويعتبر أعظم ما حدث في العصر الأموي من الناحية الحضارية هو ترجمة بعض الكتب اليونانية إلى اللغة العربية إذ فتحت هذه الحركة نافذة أشرف منها العلماء العرب لأول مرة ، على ما لدى اليونانيين من معارف لم تكن بعد في أفكارهم وكان أول تلك الكتب التي ترجمت من العلوم التطبيقية التي أقدم عليها المترجمون بدافع من الحاجة إلى مضامينها ، أو المتعة في غرابة ، فيها من المعلومات فترجمت كتب في الكيمياء والطب بطلب من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية)) .

الذي استفاد من أحد علماء مكتبة الإسكندرية (مارينوس) في دراسة علوم الكيمياء .

كما ترجم في خلافة مروان بن الحكم كناش أهرن بن أعين الإسكندراني . وقبل أن هذه الترجمة حفظت في خزائن الخلافة إلى أن نشرها بعد ذلك بثلث قرن عمر بن عبد العزيز وكذلك استقدم الخليفة عمر بن عبد العزيز صديقه وطبيبه عبد الملك بن أبجر الكناني من مصر ليمارس الطب

---

[٥] الحديدي : (مصدر سابق) ص ١٠٠ .

ويعلمه في أنطاكيا ، فكان ذلك أول نقل للمعارف اليونانيـــة إلـــى الأقطـــار الإسلامية))[٦].

لقد استمر تأثير مدرسة الإسكندرية على الثـــقافة العربية في العصر العباسي كذلك ،.ولكن بدرجة أقل بسبب انتشار المدارس الجديدة التي أخـــذت تزداد أهمية بعض هذه المدارس ، مثل مدرستي أنطاكية وحران ، كانت قـــد تأثرت هي الأخرى بمدرسة الإسكندرية من قبل في علومها ومعارفها ، وبما أن العرب في العصر العباسي ، قد اعتمدوا على مدرســـتي حـــران وجنـــد يسابور بصفة خاصة لذلك فإن تأثير مدرسة الإسكندرية في هذا العصر كان تأثيرا غير مباشر وعن طريق هاتين المدرستين .

وهنا يستوجب المقام الحديث عن المدارس التي برزت فـــي بـــدايات العصر العباسي بمدرسة الإسكندرية نذكرها حسب زمن ظهورها [٧] :

١ – **مدرســـة أنطاكية** : انتقلت مدرسة الإسكندرية إلى مدرسة أنطاكيا التي تعتبر الحلقة الأولى في انتقال التعليم إليها من الإسكندرية ... وقـــد شـــكلت العلوم اليونانية نواة المنهج المدرسي . وقد عانت هذه المدينـــة الكثيـــر مـــن الأحداث في القرون الأخيرة قبل أن يفتحها العرب سنة ١٧ هـــ / ٥٣٨ م ، فقد خربها الفرس ، ونظرا لوقوعها على الحدود القلقة بـــين الإمبراطوريـــة

---

[٦] السامرائي : (مصدر سابق) ص ٢٩٢ ــ ٢٩٣ .

[٧] الجميلي ، الدكتور رشيد : حركة الترجمة في المشرق الاسلامي في القـــرنين الثالـــث والرابع للهجـــرة ــ دار الـــشؤون الثقافيـــة ــ بغـــداد ١٩٨٦ ، ص ٢٠٧ ــ ٢١٥ (بتصرف) .

البيزنطية والإمبراطورية العربية ، بقيت في العصر الإسلامي موضع نـزاع مستمر ، ومع هذا فقد اختيرت ، لأن هذا الموقع نفسه قد جعل مـن الـسهل إحضار المخطوطات اليونانية من آسيا الصغرى .

ومن المؤكد أن الغاية في هذه المدرسة الحديثة اتجهت إلى الترجمـة السريانية وأصبحت أنطاكية الموطن الجديد لتعاليم الإسكندرية ، وقد أثرت في ازدهار الحضارة الجديدة كما أثرت فيها من قبل مدرسة الإسكندرية .

وبقيت المدرسة في أنطاكية في حدود ١٣٠ أو ١٤٠ سنة وانتقلت إلى حران في خلافة المتوكل (٢٣٢ / ٨٤٧ – ٢٤٧ / ٨٦١) .

٢ – **مدرسـة حـران** : تعتبر هذه المدرسة ، الحلقة الثانية والأخيـرة فـي عملية انتقال التعليم إليها بعد مدرسة أنطاكيا ، حيث كانت مركزا هاما للثقافة اليونانية في المنطقة ، كما كانت مركزا للتبادل والاتصال الثقافي . ومما يدل على حالها من أهمية قديمة ، أن آخر الخلفاء الأمويين وهو مروان الثاني نقل مقر خلافته حيناً إلى هذه المدينة . وحران مدينة مهمة في تاريخ الحـضارة الإسلامية ، فهي المدينة التي أنجبت المشاهير من علماء الطب ، والرياضة ، والفلك ، والترجمة من أمثال ثابت بن قرة وولده سنان والبتـاني وغيـرهم . وظلت هذه المدينة مركزا للديانة الوثنية السريانية إلى ما بعد الإسلام حيـث تسموا بالصابئة .

إن مدرسة حران كانت من أهم المـدارس تـأثيرا فـي الحـضارة الإسلامية في القرنين الثالث والرابع للهجرة ، حيث عمل النقلة من أتباع هذه المدرسة ، وبفضل مساندة القائمين على أمر حركة الترجمة من نقل معظم ما

كان موجودا من كتب يونانية ، الأمر الذي أدى إلى اقتناء العرب لأهم علوم اليونان عن طريق نقلة حران ، ومن ثم قاموا بتصحيحها فازدهرت تبعا لذلك عملية إجراء البحوث والتأليف في هذه العلوم المترجمة .

٣ – **مدرسة نصيبين** : وهي إحدى المدارس التي عملت على نشر الثقافة اليونانية الفلسفية ، واللاهوت الإغريقي بين المسيحيين الذين يتكلمون الإغريقية . غير أنها تعرضت للمتاعب ، ثم ضاعت أخيرا حين سقطت نصيبين بيد الفرس ، وعاود رئيسها أفرام السرياني عمله في الرها ، وربما اعتبرت مدرسة الرها بعثا لمدرسة نصيبين .

ويبدو التحويل الدائم للثقافة الإغريقية – في صورة سريانية معدلة من الرها عبر الحدود الفارسية إلى نصيبين ، حيث انتشرت في النهاية إلى المجتمع النسطوري ووصلت إلى العرب .

إن أساتذة مدرسة نصيبين في ترجماتهم للكتب الفلسفية اليونانية لإسناد مذهبهم في طبيعة المسيح ، قد خدموا الحضارة الإسلامية بصورة غير مباشرة ، إذ تمكن العرب من الوقوف على تراث اليونان في هذا المجال بفضل تلك الترجمات ، وعليه فإن مدرسة نصيبين تعد مصدراً آخر من مجموع التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية .

٤ – **مدرسة الرها** : انتقل التعليم إلى هذه المدرسة من مدرسة نصيبين . وفي سنة ٤٨٩ م أغلقت مدرسة الرها لأن معلميها كانوا نسطوريين في آرائهم ، وفتحت ثانية في نصيبين ، وقد نالت تأييد الساسانيين إذ ذاك ، فنشرت العقائد النسطورية والمعارف اليونانية في بلاد فارس . كان ما يعلم في تلك المدارس ذا صبغة دينية ، غير أن الأطباء وطلاب الطب كانوا يشتركون فيه . ويمكن اعتبار مدرسة الرها مصدرا جديدا من مصادر الثقافة اليونانية تمكن العرب بواسطتها من معرفة العلوم الإغريقية التي كانت من دعائم نهضتهم العلمية .

٥ – **مدرسة جند يسابور** : أسسها كسرى أنوشروان (٥٣١ – ٥٧٨ م) في مدينة جند يسابور ، وكان كسرى ((على الرغم من حربه للروم معجبا بالثقافة الإغريقية الرومية فأكرم الفلاسفة الذين طردوا على أثر إغلاق مدرسة أثنا أيام جستنيان ، وأنشأ مدرسة جند يسابور على نهج مدرسة الإسكندرية وقد جرى التدريس بالسريانية كما كان الحال في نصيبين .

وأصبحت مدرسة جند يسابور معهدا للدراسات الفلسفية والطبية ، وشمل كسرى في تسامحه كلا من النسطوريين واليعقوبيين ، وصار النصارى السريان أطباء ، فنالوا الحظوة التي نالوها في قصور الخلفاء فيما بعد .

لقد جعل كسرى هذه المدينة من أكثر المراكز العقليةِ أهمية في ذلك

الوقت وقد كان هنا العلماء اليونان الذين تركوا أثينا ليقابلوا الحكماء السريان والفرس واليهود . وهكذا قام علم التوفيق بين الآراء والمذاهب المتناقضة الذي أصبح فيما بعد أكثر أهمية لتقدم الفكر الإسلامي)) .

((وفي هذه المدرسة لم يكن الطب يدرس اعتمادا على تراجم سيرجيوس لكتب جالينوس في غالب الظن – نظريا فحسب – بل كان يدرس عمليا في بيمارستان كبير ، كان نموذجاً لما كانت عليه الدراسة من بعد في العالم الإسلامي))[٨].

وكان لهذه المدرسة الأثر المباشر في ازدهار حركة الترجمة ومنذ القرن الثاني للهجرة ، عندما بدأ أول اتصال مباشر معها زمن الخليفة العباسي المنصور وذلك عندما أحضر الأخير رئيس أطباء جند يسابور ، جورجيوس بن بختيشوع إلى بغداد لمعالجته من مرض ألم به .

ومن ثم تطورت العلاقة بين هذه المدرسة وخلفاء بني العباس ولاسيما زمن الخليفتين المنصور والرشيد ، وكانت العلاقة الطبية تحتل المرتبة الأولى في أهمية هذه المدرسة في هذا العصر ، فضلا عن كونها مركزا هاما من مراكز الترجمة وإحدى المسالك التي انتقلت من خلالها الحضارة الإغريقية إلى العرب وإنها كانت علامة مضيئة في تاريخ الحضارة الإسلامية .

---

[٨] مايرهوف ، ماكس : من الاسكندرية الى بغداد ، فصل في كتاب التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، للدكتور عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٠ ، ص ٥٦ .

وختاما نقول إن أثر مكتبة الإسكندرية في الحضارة العربية الإسلامية على المستوى المعرفي قد ظهر واضحاً في التشكيل العام لحضارة العرب والمسلمين ، على أنحاء عدة :

ففي مجال العلم ، حفظت مكتبة الإسكندرية مؤلفات العلماء اليونانيين وحافظت على استمرار البحث العلمي خلال نخبة ممتازة من علماء الإسكندرية في حقول الطب والفلك والهندسة واللغويات ، حتى جاء أوان الإسهام العربي الإسلامي في هذه الحقول المعرفية .

ففي مجال الطب ، على سبيل المثال كان الأثر واضحا في أمرين :

الأمر الأول : انتقال مجالس التعليم الطبي من الإسكندرية إلى بغداد ، عبر قرون طويلة استقر خلالها منهج البحث الطبي عند الأطباء العرب والمسلمين على النحو الذي رسمته الإسكندرية من قبل . وقد تتبع المستشرق ماكس مايرهوف انتقال هذا التعليم الطبي ، فكشف خلال دراسته المستفيضة (من الإسكندرية إلى بغداد) عن التواصل العلمي بين الإسكندرية والحضارة الإسلامية في هذا المجال .

الأمر الثاني : عمق الأثر السكندري في تاريخ الطب العربي الإسلامي ، من خلال تلك المؤلفات الأبقراطية وهي مؤلفات أبقراط التي لم يكن المسلمون

يسمحون للطبيب بممارسته مهنته قبل دراستها ، وإلى جانبها كانت مؤلفات جالينوس التي تعرف باسم منتخبات الإسكندرانيين وهي التي كانت تلي مجموعة أبقراط في الأهمية ... ولولا مكتبة الإسكندرية ، وكبار أطبائها ، ما كان من الممكن أن يستمر علم الطب قديماً باستلام العرب والمسلمين الراية اليونانية من الإسكندرية)) [٩].

[٩] من الانترنيت : موقع يوسف زيدان ــ ٢٠٠٣ .